

قاعدة في أنواع الاستفتاح في الصلوة وأنواع الأذكار مطلقا

تأليف شيخ الإسلام أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني رحمه الله
تصحيح وتعليق : الاستاذ عبد الصمد شرف الدين

طبعت هذه الرسالة في المطبعة القيمة ونشرتها الدار القيمة
بهيوندي ، بمبائي - (الهند) - تشتمل على ٦٥ صفحة على مقاس
متوسط ، مجلدة .

إن الاستاذ الفاضل الشيخ عبد الصمد مصحح هذه الرسالة
لمولع بطبع الكتب الدينية منذ نعومة أظفاره ، وقد حجب الله
إليه طبع مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رحمه الله ، فهو
دائما يجتهد في طلب مؤلفاته المخطوطة ، فقد طبع كتاب الرد
على المنطقيين لابن تيمية رحمه الله ومجموعة تفسير شيخ الإسلام
ابن تيمية رحمه الله ، وطبع حديثا هذه الرسالة التي أماننا ،
ومطبوعاته كلها ممتازة من ناحية الصحة والإناقة ، بارك الله في
مساعدته ووقفه لخدمة الإسلام .

أمين أمين لا أرضى بواحدة * حتى اضيف إليها ألف آمينا

حقا أن مؤلف هذه الرسالة لعالم جليل وعظيم ، ومثل هذا المؤلف إذا كتب على موضوع سواء أوجز أم أطال فإنه لا يأتي إلا جليلا وعظيما ولرأيت آثار الجلالة والعظمة بادية عليها .

تشتمل هذه الرسالة على خمسة فصول : ذكر المؤلف في أولها الأذكار وقسمها إلى ثلاثة أقسام ” (١) أعلاها ما كان ثناء على الله و (٢) يليه ما كان خيرا من العبد عن عبادته لله و (٣) الثالث ما كان دعاء للعبد“ . ثم فضل مجرد ذكر الله والثناء على الدعاء والسؤال محتجا بالحديث القدسي « من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » .

وتكلم في الفصل الثاني على الشهادتين والصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم والحمد والبسمة والتكبير ، وذكر في الفصل الثالث أنواع الاستفتاح الثلاثة في الصلوة وهي (١) سبحانك اللهم . . . الخ (٢) وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض . . . الخ (٣) اللهم باعد بيني وبين خطاياي . . . الخ ثم رجح سبحانك اللهم . . . الخ على سائر أنواع الاستفتاح - والبحث كله مملوء بالنكات العلمية ، وللمؤلف في مسألة وجوب الاستفتاح أو استحبابه فتوى في فتاويه المطبوعة بمصر ضمها المصحح أيضا إلى ختام الفهرس العام لهذه الرسالة .

ثم ذكر المؤلف في الفصل الرابع المواضع المشروع فيها

التكبير والتحميد والتشهد وبيان مناسباتها فذكر أن " التكبير مشروع في الأماكن العالية وحال ارتفاع العبد وحيث يقصد الإعلان " وأن " التسبيح في الأماكن المنخفضة وحيث ما نزل العبد " .

وختم الرسالة بالفصل الخامس في عظم شأن الدعاء الوارد في ام القرآن ، شرح فيه " الصراط المستقيم " وذكر حكمة الدعاء الذي علمنا الله في سورة الفاتحة وهو « إهدنا الصراط المستقيم » وكل ذلك بالاسلوب الرائع العلمي الذي لا يزيدنا علما فقط بل أيضا يشرح صدورنا إيمانا و يقينا .

وبقى لنا الكلام على مسألتين عرضهما المصنف خلال هذه الرسالة وهما في حاجة إلى التعليق ، الأول أن مجرد ذكر الله والثناء أفضل من الذكر الإخباري والذكر الدعائي حتى أن الذاكر إذا اكتفى به لكفاه ولم يحتاج إلى غيره من الأذكار الإخبارية والدعائية - فليس الأمر عندنا كذلك فإن هذه الأذكار الثلاثة كلها في القرآن وكلها من مقتضيات العبادة . ولكل منها أوقات وأحوال خاصة ، لا يسد أحدها مقام الآخر ولكل منها أثرها الخاص وشرحه يحتاج إلى تطويل . ونؤول الحديث القدسي المذكور في هذا الباب بأنه يشرح حالة خاصة تعترى أحيانا بعض العابدين .

والمسألة الثانية هي كون كلمة " الله اكبر " من القرآن

فقد ذكر المصنف حديث الرسول ﷺ أنه قال : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن (١) سبحان الله - (٢) والحمد لله (٣) ولا إله إلا الله (٤) والله أكبر - » (انظر الصفحة ٦ و ٧) فإننا نعترب بأن معنى هذه الكلمة يوافق تماما تعليمات القرآن المجيد لأننا نجد في أوامر الله ما يوجب علينا أن نقول " الله اكبر " مثل قوله تبارك وتعالى : « وكبره تكبيرا » (الإسراء : ١١١) وقوله تعالى : « وربك فكبر » (المدثر : ٣) إلا أننا لا نجد هذه الكلمة بعينها في القرآن المجيد كما نجد أخواتها الثلاث (أى الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله) نعم إننا نجد في القرآن المجيد « ولذكر الله أكبر » (العنكبوت : ٤٥) و « لمقت الله أكبر » (المؤمن : ١٠) و « ورضوان من الله اكبر » (التوبة : ٧٣) - ولا نرى إلا أن السنة شرحت هذه الأوامر الإلهية وقررت هذه الكلمة في الأذان والصلوات والأذكار .

ثم أن المصحح قدم هذه الرسالة بكلمة التصحيح فذكر ترجمة المؤلف العلامة ابن تيمية بالإيجاز ثم عرفنا بهذه الرسالة وذكر أنه وجدها ضمن بعض مجلدات "الكواكب الدراري في ترتيب مسند الإمام أحمد على أبواب البخاري" لا بن عروة الحنبلي ، بدار الكتب المصرية بالقاهرة حينما كان المصحح يبحث عن أجزاء التفسير لابن تيمية والمصحح قد أضاف إليها في خاتمتها مقدمة باللغة الإنكليزية أيضا والفهرس العام لمباحث هذه الرسالة .

ثم إن المصحح أضاف إلى آخر هذه الرسالة رسالة صغيرة
جدا لبعض الفضلاء في مطالب سورة البقرة ، والحق أن
هذه الرسالة نافعة جدا مستقلة في موضوعها غير أننا لم نر لهذه
الرسالة أى علاقة أو ارتباط برسالة ابن تيمية هذه ، على
كل حال فأخرج شئ من العلم فضل لا ينكر .

وللمصحح بارك الله فيه تعليقات هامة نافعة تتعلق بشرح الكلمات
والمعاني ، وتخرىج الأحاديث الواردة فى الرسالة .

* * *

عبد الرحمن الطاهر السورنى